

روح المعاني

والاعتبار والمراد هنا الثاني ولا شك أن طريق عبادة أهل السماء غير طريق عبادة أهل الأرض على ما يشهد به تتبع الآثار فإذا كان إله بمعنى معبود كان معنى الآية أنه تعالى معبود في السماء على وجه ومعبود في الأرض على وجه آخر وإن كان بمعنى التحير فيه فالتحير في أهل السماء غير التحير في أهل الأرض فلا جرم تكون أطوارهم مخالفة لأطوار أهل الأرض ومن ذلك اختلاف علومهم فإن علوم أهل الأرض إن كانت ضرورية فأكثرها مستندة إلى الحس وإن كانت نظرية كانت مكتسبة من النظر فإذا انسد طريق النظر والحس عجوزا وتحيروا ولا كذلك أهل السماء لتنزههم عن الكسب والحس فتحيرهم على نحو آخر أو نقول التحير في إدراك ذاته تعالى وصفاته إنما ينشأ من مشاهدة آثار عظمتها وكمال قدرته سبحانه ولا شك أن تلك الآثار في السماء أعظم من الآثار في الأرض وعليه فيجوز أن يكون الإله بمعنى المتحير فيه ويكون مجازا عن عظيم الشأن من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم فيكون المعنى أنه تعالى عظيم الشأن في السماء على نحو وعظيم الشأني الأرض على نحو آخر أه ولا يخلو عن شيء كما لا يخفى وهو الحكيم العليم .

84 .

- كالدليل على النفي والأختصاص المشار إليهما فإن من لا يتصف بكمال الحكمة والعلملا يستحق الإلهية .

وتبارك الذي له ملك السماوات والأرضوما بينهما كالهواء ومخلوقات الجو المشاهدة وغيرها وعنده علم الساعة أي العلم بالساعة أي الزمان الذي تقوم القي فيه فالمصدر مضاف لمفعوله والساعة بمعناها اللغوي وهو مقدار قليل من الزمان ويجوز أن يراد بها معناها الشرعي وهو يوم القيامة والمحذور مندفع بأدنى تأمل وفي تقديم الخبر إشارة إلى استثنائه تعالى بعلم ذلك وإليه ترجعون .

85 .

- للجزاء والألتفات إلى الخطاب للتهديد وقرأ الأكثر بياء الغيبة والفعل في القراءة مبني للمفعول وقرئ بفتح تاء الخطاب والبناء للفاعل وقرئ تحشرون بتاء الخطاب أيضا والبناء للمفعول ولا يملك الذين يدعون أي ولا يملك آلهتهم الذي يدعونهم من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاءهم عند الله وقرئ تدعون بتاء الخطاب والتخفيف والسلمي وابن وثاب بها وشد الدال إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون .

86 .

- أي يعلمونه والجملة في موضع الحال وقيد بها لأن الشهادة عن غير علم بالمشهود به لا يعول عليها وجمع الضمير باعتبار معنى منكما أن الأفراد أولا باعتبار لفظه والمراد به الملائكة وعيسى وعزير وأضرابهم صلاة الله تعالى وسلامه عليهم والاستثناء قيل : متصل إن أريد بالذين يدعونهم دونه كل ما يعبد من دون الله ومنفصل إن أريد بذلك الأصنام فقط وقيل : هو منفصل مطلقا وعلل بأن المراد نفي الآلهة الباطلة الشفاعة للكفرة ومن شهد بالحق منها لا يملك الشفاعة لهم أيضا وإنما يملك الشفاعة للمؤمنين فكأنه قيل على تقدير التعميم : ولا يملك الذين يدعونهم من دون الله تعالى كائنين ما كانوا الشفاعة لهم لكنهم شهد بالحق يملك الشفاعة لمنشاء الله سبحانه من المؤمنين فالكلام نظير قولك : ما جاء القوم إلي إلا زيدا جاء إلى عمرو فتأمل .

وقال مجاهد وغيره : المراد بمن شهد بالحق المشفوع فيهم وجعل الاستثناء عليه متصلا والمستثنى منه محذوفا كأنه قيل : ولا يملك هؤلاء الملائكة وأضرابهم الشفاعة في أحد إلا فيمن وحد عن أيقان وإخلاص